Strategy WATCH
المرصد الاستراتيجي

حملة إسرائيل الهادئة لتوطيد أقدامها في جنوب سوريا

ترجمات

نشر موقع (News Deeply) في 15 يونيو الجاري دراسة بعنوان (Israel's Quiet Campaign to Gain a Foothold in SouthernSyria)، أشار فليه إلى أن إسرائيل قد عملت بهدوء خلال السنوات الخمسة الماضية لإيجاد موطئ قدم لها في جنوب سوريا لمنع القوات الموالية للنظام من السيطرة على المنطقة، ولتعزيز ادعاءاتها المتعلقة بمرتفعات الجولان.

ورأى الموقع أن الاتصالات التي بدت للوهلة الأولى عابرة مع بعض فصائل المعارضة المقيمة على طول السياج الحدودي عام 2012، قد تحولت بالتدرج من معالجة قضايا إنسانية إلى تنسيق عمليات متكاملة متعددة الأوجه، تحمل أبعاداً سياسية وعسكرية وذلك وفقاً لاستقصاء قام به موقع "سوريا ديبلي" من خلال مقابلة السكان المحليين ومسؤولي الاستخبارات السورية وأعضاء في المعارضة السورية، بحيث تم إنشاء "منطقة آمنة إسرائيلية" تمتد وعلى نحو غير رسمي على عمق 10 كم وبطول 20 كم ماوراء خط ترسيم الحدود الواقع في الجزء المحتل من مرتفعات الجولان، وذلك لمنع قوات النظام وحلفائها (ميلشيا "حزب الله" اللبناني والحرس الثوري الإيراني) من إيجاد موطيء قدم على طول الشريط الحدودي، وذلك وفق تكتيك سابق استخدمته إسرائيل لإنشاء منطقة تتحكم بها خلال الحرب الأهلية جنوب لبنان.

ففي عام 2016؛ أقام الجيش الإسرائيلي وحدة ارتباط لتسهيل اجتياز المواطنين السوريين الحدود إلى داخل إسرائيل، وتنسيق عمليت إدخال شحنات دورية من الطعام والملابس ومواد البناء والمواد التعليمية، كما تمت الاستفادة من هذه الوحدة لشن ضربات جوية على مواقع موالية للنظام، بحيث أصبح من المألوف اليوم أن ترى حافلات إسرائيلية تدخل وتخرج من جنوب سوريا محملة بمواطنين سوريين من مناطق سيطرة المعارضة في القنيطرة معظمهم يدخل إسرائيل لأجل تلقي العلاج الذي عادة ما يتم في مستشفى "زيف" في صفد وفي مشفى غرب الجليل في نهاريا أو في مركز "رامبام" الطبي في حيفا، ويمكث بعض المرضى عدة أيام، وقد تصل الإقامة لشهر كامل أو حتى عام ونصف العام يُمنحوا خلالها الفرصة لتعلم اللغة العبرية والتأقلم مع المحيط الجديد.

ووفقاً لتقرير أصدرته قوات فض الاشتباك التابعة للأمم المتحدة "أندوف"؛ فقد ازداد التفاعل بين الجيش الإسرائيلي وأولئك القاطنين ضمن مناطق سيطرة المعارضة على طول السياج الحدودي، حيث تمت ملاحظة تضاعف حركة نقل المؤن على جانبي الحدود، وأبلغ أحد أعضاء مجالس الإدارة المحلية التابعة للمعارضة في القنيطرة موقع "سوريا ديبلي" أن من يقوم بعملية التسيق مع القوات الإسرائيلية ويسهل عمليات التنقل شخص

يدعى أبو نضال، وأفاد مصدر مقرب من استخبارات النظام (شريطة عدم ذكر اسمه لحساسية الموقف) بأن الإسم الحقيقي لأبي نضال هو أحمد الصفوري من قرية نافعة، ويقيم الأن في قرية المعلقة لتي تبعد بضعة أمتار عن الحدد الحالية، مؤكداً أن أبو نضال لا يتبع فصيلاً معيناً، بل يدير شبكة تضم ما لا يقل عن عشرين مندوباً ينسقون عمليات نقل السوريين إلى إسرائيل وإدخال المواد من خلال قرية "المعلقة" و"وادي المريع".

كما تقوم منظمات المجتمع المدني الإسرائيلية، مثل "أماليا" و"منظمة العون الإسرائيلية" و"شيفات أشيم" بالتنسيق مع الداخل السوري عبر وحدة الارتباط الإسرائيلية، وذلك بهدف الوصول إلى السوريين والتواصل مع مجالس المعارضة المحلية في نحو 35 قرية لإيصال المساعدات إليهم، وأبلغ أحد قادة الجبهة الجنوبية موقع "سوريا ديبلي" (شريطة عدم الإفصاح عن هويته) أن الإسرائيليين يعملون مع منظمات المجتمع المدني عن كثب، مؤكداً: "نعلم أن ذلك يحدث إلا أننا لا نريد أن ندخل في مشاكل مع السكان المحليين ولا يمكنا منع ذلك".

وتعمل مؤسسة "أماليا" الإسرائيلية بشكل رئيسي لإيجاد منطقة آمنة جنوب سوريا، حيث وسعت عملها ليشمل 17 قرية في القنيطرة وجنوب محافظة درعا وجزء من السويداء، وكما تعمل على تنفيذ مبادرات تدريبية وعلى مشارعي بناء مستشفيات ومدارس، ويسعى مؤسس "أماليا" موتي كهانا لدفع حكومة تل أبيب للموافقة على تبني 100 طفل سوري، وهو ما وافق عليه وزير الداخلية آرئيل درعي شريطة أن يتم تبنيهم من قبل عائلات إسرائيلية، وأن يمنحوا سكناً وإقامة في المرحلة الأولى، ومن ثم يحصلوا على الجنسية الإسرائيلية في مرحلة لاحقة.

وقد ضاعفت إسرائيل في الآونة الأخير من وتيرة انخراطها العسكري جنوب سوريا، حيث قامت في غضون السنة الماضية بدعم وتمويل فصيلها الخاص من الجيش الحر، الذي يطلق عليه اسم "لواء فرسان الجولان" والذي يقوده أبو صهيب الجولاني، ووفقاً للموقع فإن هذا اللواء يعمل في بلدة بمحافظة القنيطرة اسمها "جباتا الخشب"، وذلك ضمن نطاق قوات الفصل التابعة للأمم المتحدة "أندوف" وقد أكد أحد أعضاء هذا اللواء لموقع "نيوز ديبلي" هذه المعلومات لكنه رفض الإجابة على مزيد من الأسئلة حول هذا الفصيل.

ونقل الموقع عن مصادر أمنية تابعة للنظام قوله إن الاسم الحقيقي لأبي صهيب هو أحمد الخطيب، وهو من قرية "مسحرا" في القنيطرة، وتتألف قواته من 1000 مقاتل، لكن الحقيقة أن العدد الفعلي لقواته يتراوح بين 300 إلى 400 عنصر، ويستلم خمسين ألف دولار شهرياً من إسرائيل، ويتمتع اللواء بتسليح خفيف فقط، إذ إنه يعمل بشكل رئيسي كقوة حرس حدود، ويقوم بدوريات في المنطقة التي ينتشر فيها، ونقل الموقع عن أحد

السكان المحليين قوله: "لا يمكننا أن نفعل أي شيء لأنهم من السكان المحليين، لدينا ما يكفينا من المشاكل في المنطقة ولا نستطيع التصادم معهم".

أما على الصعيد السياسي؛ فتقوم إسرائيل علناً بمغازلة معارضين سوريين مثل: عصام زيتون وكمال اللبواني اللذين يزورا إسرائيل بشكل منتظم، وتروج تل أبيب كذلك لجبهة "الخلاص الوطني" بزعامة فهد المصري، الذي يدعو علناً لتدخل إسرائيل في سوريا.

التجربة اللبنانية

ورأى الموقع أن إسرائيل تتبع في سوريا إستراتيجية شبيهة بتلك التي تبنتها في جنوب لبنان عقب "اتفاقية القاهرة" (1969) بين قائد الجيش اللبناني إيميل البستاني وقائد حركة فتح ياسر عرفات برعاية الرئيس جمال عبدالناصر، والتي أتاحت للجماعات الفلسطينية مجال شن هجمات على إسرائيل من جنوب لبنان.

ولتفادي الضربات المحتملة، بادرت إسرائيل إلى استغلال الفوضى التي عمت لبنان إثر نشوب الحرب الأهلية (1975)، حيث أنشأت شبكتها الخاصة من اللبنانيين في الجنوب فيما أسمته إسرائيل سياسة "السياج الجيد"، والتي أتاحت لها ملء الفراغ في المنطقة التي يقطنها العديد من الطوائف التي هَجَرتها الحكومة أمنياً ومادياً.

ونقل الموقع عن "أبو عبدالله"، الذي ترعرع تحت الاحتلال الاسرائيلي في جنوب لبنان، قوله إن إسرائيل أنشأت شبكة صديقة عسكرياً ومدنياً، وركزت في جهودها على إثارة الهواجس الطائفية وعلى التخويف من الدور الذي يمكن أن يقوم به الفلسطينيون لإحكام قبضتهم على المنطقة، وذلك بالتزامن مع إرسال مساعدات إنسانية وطبية من خلال المعبر المتواجد في بلدة "بوابة فاطمة"، ومن ثم شرعت في إرسال السلاح، وبادرت إلى إنشاء مليشيات خاصة بها، وفي هذه الأثناء لم يكن من المستهجن أن يسعى اللبنانيون للحصول على الطبابة وعلى فرص العمل في إسرائيل التي كانت تعتبر أكثر استقراراً من لبنان آنذاك.

وفي عام 1975؛ أنشأت إسرائيل "جيش لبنان الحر" ودربته ومولته تحت قيادة الضابط اللبناني السابق أنطون لحد، الذي كلف بمهمة استهداف أية جهة يشتبه بمعارضتها لإسرائيل كما عمل على تمهيد الطريق لاحتلال إسرائيل لجنوب لبنان الذي استمر حتى عام 2000.

وبعد مرور أربعين عاماً على تلك الأحداث؛ يشهدل الجنوب السوري سيناريو مشابهاً لما حصل في جنوب لبنان، إذ يوجد اليوم عدد من الفصائل العاملة في القنيطرة على طول خط وقف إطلاق النار، منها فصائل محلية هجينة، بالإضافة إلى تحالف فصائل الجبهة الجنوبية المدعومة من الأردن والولايات المتحدة، فضلاً عن "هيئة تحرير الشام" المرتبطة بالقاعدة، ومقاتلي تنظيم "داعش".

ويعاني سكان تلك المناطق من لهجمات التي تشنها قوات النظام، ومن تدفق اللاجئين إليها من القرى المتضررة، فضلاً عن الاشتباكات بين مختلف فصائل المعارضة، مما يؤدي إلى غياب المؤسسات الخدمية وانهيار الاقتصاد، ولا شك في أن المعاناة قد تفاقمت إثر إغلاق الأردن حدودها مع سوريا عام 2016، مما منع المواطنين السوريين من الحصول على العلاج أو استقبال شحنات الإغاثة، وساهم ذلك بدوره في إيجاد بيئة خصبة لإسرائيل التي استفادت من تجربتها في لبنان، فلم ترسل قواتها على الأرض، بل سارعت إلى سد الفجوة من خلال تقديم الخدمات الأساسية، وزيادة عدد السوريين المعتمدين عليها والمتقبلين لوجودها في المنطقة، وقد عبر عن ذلك أبو أحمد بقوله: "ليس لدينا مشاف ميدانية تستطيع التعامل مع الحالات الحرجة، والأردنيون لا يقدمون لنا أية مساعدة، فهل ستلوم أباً أو أماً يعاني ابنهما إذا أرسلوه للعلاج في إسرائيل؟".

ما وراء الصراع في سوريا

يتهم النظام السوري إسرائيل بالتنسيق مع فصائل المعارضة جنوب سوريا وتقديم الدعم اللوجستي والاستخباراتي لهم وحمايتهم من قصف القوات الموالية للنظام في القنيطرة، وتستشهد مصادر النظام العسكرية بما حدث في الصمدانية الشرقية، مؤكدة أنه: "حينما فشل المسلحون في التقدم، هاجمت إسرائيل مواقع الجيش السوري في المنطقة بحجة سقوط قذيفة هاون في الجولان المحتل، وقد حدث ذلك في مناسبات عدة في السابق خلال الاشتباكات التي دارت بالقرب من خان أرنبه ومعركة تل شعر عام 2015"، ورأت مصادر النظام أن إسرائيل تتصرف حسب مصلحتها، حيث تلجأ إلى إلزامية اتفاق "فض الاشتباك" (1974) والذي انسحبت إسرائيل بموجبه إلى خط هدنة عام 1967 ووافقت على إنشاء منطقة عازلة في الأراضي التي تسيطر عليها سوريا تحت مراقبة قوات الأمم المتحدة لفض الاشتباك "أندوف"، لكنها في المقابل تقوم بقصف القوات السورية في أي وقت تريده، علماً بأنه ليس هنالك وجود فعلي لقوات النظام في المنطقة المعزولة السلاح.

وبالنسبة لإسرائيل فإن إنشاء منطقة عازلة جنوب سوريا لا يساهم فقط في إنشاء مسافة بين حدودها وبين قوات النظام السوري فحسب؛ بل يساعد على توطيد سيطرتها في مرتفعات الجولان كذلك، فعلى إثر اندلاع الأزمة السورية؛ أصبح المسؤولون الإسرائيليون يشيرون لعدم الاستقرار كحجة لإعادة فتح النقاش حول سبل تحقيق الاعتراف الدولي بسيادة إسرائيل على المناطق التي تحتلها من الجولان.

ولأجل ترسيخ قبضتها هناك؛ قامت إسرائيل بإنشاء العديد من مشاريع البنى التحتية في الجولان المحتل، بما في ذلك: توسيع الاستيطان، وضخ المال لتعزيز الاقتصاد المحلي، وتشجيع مواطني الجولان المحتل على القبول بالهوية الإسرائيلية، في حين يضغط رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتينياهو على قادة الدول المنخرطة في الشأن السوري للاعتراف بأن الوقت قد حان لضم الجولان تحت السيادة الإسرائيلية بصورة دائمة.

ولا شك في أن إستراتيجية إسرائيل لزيادة نفوذها على الجانب السوري سيكون لها تأثير مستقبلي كبير، ويصعب التنبؤ إن كانت الحقائق الجديدة ساستهم في ترجمة النفوذ الإسرائيلي في تلك المناطق إلى اعتراف بسيطرة دائمة على مرتفعات الجولان، أم أن تل أبيب ستكتفي بالسيطرة على منطقة بعمق عدة أميال تفصل حدودها الحالية عن التهديدات الناتجة عن الأزمة.